

الثامن من شهر شوال.. ذكرى هدم قبور أئمة البقيع



القرآن وبناء القبور: لو تبعنا القرآن الكريم - كمسلمين - لرأينا أنَّ القرآن الكريم يعظُّ المؤمنين ويكرِّهُم بالبناء على قبورهم - حيث كان هذا الأمر شائعاً بين الأمم التي سبقت ظهور الإسلام - فيحدِّثنا القرآن الكريم عن أهل الكهف حينما اكتشف أمرهم - بعد ثلاثة وتسعة سنين - بعد انتشار التوحيد وتغلُّبه على الكفر . ومع ذلك نرى انقسام الناس إلى قسمين: قسم يقول: (ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَادًا) تخليداً لذكراهم - وهؤلاء هم الكافرون - بينما نرى المؤمنين - (القسم الثاني) التي انتصرت إرادتهم فيما بعد - يدعون إلى بناء المسجد على الكهف، كي يكون مركزاً لعبادة الله تعالى، بجوار قبور أولئك الذين رفضوا عبادة غير الله . قال تعالى: (وَاللَّهُمَّ إِنَّمَا يُعْتَدُ بِأَهْلِ الْكَهْفِ إِذْ نَهَيْنَاهُمْ عَنِ الْمُحَاجَةِ إِذْ هُمْ يَرْجِعُونَ إِذْ هُمْ كَانُوا يُنْهَا إِلَيْهِمْ لَدَنَتِهِمْ خَذَنَهُمْ مَسْجِدُهُمْ مَسْجِدٌ) (الكهف: 21). أن سيرة المؤمنين الموحدين في العالم كله كانت جارية على البناء على القبور ، وكان يُعتبر عندهم نوعاً من التقدير لصاحب القبر ، وتبركاً به لما له من منزلة عظيمة عند الله ، ولذلك بني المسجد وأصبحت قبور أصحاب الكهف مركزاً للتعظيم والاحترام . فلو كان بناء المسجد على قبور الصالحين أو بجوارها علامة على الشرك ، فلماذا صدر هذا الاقتراح من المؤمنين ؟! ولماذا ذكر القرآن اقتراهم دون نقد أو رد ؟! أليس ذلك دليلاً على الجواز ، (وَاللَّهُمَّ إِنَّمَا يُعْتَدُ بِأَهْلِ الْكَهْفِ إِذْ هُمْ كَانُوا يُنْهَا إِلَيْهِمْ لَدَنَتِهِمْ خَذَنَهُمْ مَسْجِدُهُمْ مَسْجِدٌ)

عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) . (الكهف: 21) فهذا تقرير من القرآن الكريم على صحة هذا الاقتراح - بناء المسجد - ومن الثابت أنّ تقرير القرآن حجّة شرعية . ولا زالت هذه الحالة موجودة حتّى في وقتنا الحاضر، لقبور العطماء والملوك والخلدين، فهل توجد أخلد وأظهر من ذرّية رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ الذين أذهبوا عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرا . قال تعالى : - واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .. (البقرة 125). وقال عزوجل : - ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْدِيَّانًا... قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَدَتْ خَذَنٌ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . (الكهف: 21). وورد في زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) : (وفي قلب من يهواك قبرك) . وهناك أحاديث شريفة كثيرة وردت في فضل زياره القبور والتبرك بأولياء الله تعالى منها : - من أتى قبر أخيه ثم وضع يده على القبر وقرأ (إنا أنزلناه سبع مرات أمن يوم الفزع الأكبر) -، وإذا صارت بكم الصدور فعليكم بزيارة القبور. - جاور القبور تَعَتَّبرُ ... ودأبت الأمم على تقديس عظمائها ومصلحيها، وكل من وضع نفسه في خدمة كيانها وهيئتها بل من شكل هويتها وحضارتها .. يرافق هذا التقديس من إفرازات أينعت ثمارها في تشكيل شخصيات، حاولت أن تكمل الطريق من منطلق التأثير والتأثير، بما يوصله معرفياً، علماء الاجتماع والسياسية أو سلوك وطبائع البشر، وهناك وجود حالة توجه لا شعوري تتركز في كيان الفرد ومجتمعه نحو مثل أسمى والتشبه به، لذا تكون قضية التوابل مع هذا المثل - ضرورة في استمرار التشكيل الحضاري وديمومة دورتها - قراءة لأفكاره، لسيرته، واستذكاره.. وزيارة كل ما يذكر به، الأمر الذي يوفر له الانشداد إلى الأسس والمنطلقات التي سار عليها ذلك المثل الأسمى بغية تدشينها وتمكيلها. أين كان علماء المدينة المنورة عن منع البناء على القبور؟ ووجوب هدمه قبل هذا التاريخ؟! ولماذا كانوا ساكتين عن البناء طيلة هذه القرون؟! من صدر الإسلام، وما قبل الإسلام ، وإلى يومنا هذا! ألم تكن قبور الشهداء والصحابة مبنيّ عليها؟ ألم تكن هذه الأماكن مزارات تاريخية مؤثّرة لأصحابها ؛ مثل مكان: مولد النبي (صلى الله عليه وآله)، ومولد فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وقبر حواء أم البشر والقبيّة التي عليه، أين قبر حواء اليوم؟ ألم يكن وجوده تحفة نادرة؟ يدل على موضع موت أوّل امرأة في البشرية؟ أين مسجد حمزة في المدينة؟ ومزاره الذي كان؟ أين ...؟ وأين... في المدينة المنورة هنالك بقعة شريفة طاهرة هي البقيع. قرب المسجد النبوي الشريف ومرقد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) . وفيها مراقد الأئمة الأربع المعصومين من أهل بيته النبوة والرسالة (عليهم السلام) عليها قبور وأضرحة ومعالم تدل على قدسيتهم. وقد كانت على هذه القبور قباب وبناء، وكان لها صحن وحرم، فكانت عظيمة في أعين الناس، شامخة في قلوب المسلمين... محفوظة حُرمتها وكرامتها، وكان الناس يتواذون على هذه البقعة المقدسة لزيارة المدفونين فيها - عملاً بالسنة الإسلامية من استحباب زيارة القبور وخاصة قبور ذرية رسول الله وأولياء الله تعالى. كان البقيع قبل هدمه هكذا: الأئمة الأربع(عليهم السلام) في قبة، وتزار فاطمة الزهراء(سلام الله عليها) في بقاعتهم حيث من المحتمل أنها دفنت هناك، فلا أساس بزيارة الصديقة الطاهرة(سلام الله عليها) في البقيع، وفي المسجد، وفي بيتهما وذلك لخلفاء القبر الشريف،

وسيظهر إن شاء الله تعالى عند ظهور ولدها الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشري夫) وإن كان من المحتمل إخفاء قبرها (سلام الله عليها) إلى يوم القيمة ليبقى سندًا على مظلوميتها طول التاريخ. وكان في نفس تلك القبة مدفن العباس عم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). وكانت خارج القبة بفاحصة قليلة قبة مبنية تعرف ببيت الأحزان، حيث كانت الزهراء (سلام الله عليها) تخرج إلى ذلك المكان وتبكي على أبيها. وكانت تشتمل مقبرة البقيع على قباب كثيرة، مثل أزواج النبي وأولاده وبناته ومرضعتهم(صلى الله عليه وآله وسلم) «حليمة السعدية» وكانت هناك قبة «فاطمة بنت أسد» (سلام الله عليها) والدة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقبة أم البنين (سلام الله عليها) زوجة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) وقبتها قرب قبة عمات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت أيضًا قبة «جاير بن عبد الله الأنصاري» وغيرهم مما هو مذكور في التاريخ. وكما دفن في البقيع فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السلام) جوار الأئمة الأربع سلام الله عليهم. قال السمهودي: وفي الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقة ابن حباب، والحاكم. وعن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد (ع)، دخل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي بعد أمي. وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده، إلى أن قال: «فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاضطجع فيه ثم قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، إغفر لأمي فاطمة بنت أسد (ع) ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله؛ فإنك أرحم الراحمين. وقال السمهودي أيضًا: توفيت صفية بنت عبد المطلب فدفنت في آخر الرزاق الذي يخرج إلى البقيع. قال المجلسي في البحار: وفيها - أي في سنة حجة الوداع - توفي إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ولد في ذي الحجة من سنة ثمان وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بالبقيع. قال السمهودي في وفاة الوفاء ص 893 ج 2: وعن قدامة، قال: دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إبراهيم ابنه إلى جنب «عثمان بن مطعون» وقبره حداء زاوية دار عقيل بن أبي طالب (عليهما السلام) من ناحية دار «محمد بن زيد». ووصف البقيع «عون بن هاشم» حين هجم الوهابيون على الطائف بقوله: (رأيت الدم فيها يجري كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجاريه أطنها والله حمراء. (نجد وملحقاته، أمين الريhani، ص 256.). ووصف البقيع الرحالة السويسري (لويس بورخات) بقوله: (هي عبارة عن مربع كبير تبلغ سعته مئات من الخطوات، محاط بجدار يتصل من الجهة الجنوبية بضاحية البلدة، وبساتين النخيل الأخرى. وتبدو المقبرة حقيقة جداً لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها. وقد تكون أقدر وأتعس من أية مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تصا هي المدينة المنورة في حجمها، فهي تخلوا من أي قبر مشيد تشييداً مناسباً، وتنشر القبور فيها وهي أكوام غير منتظمة من التراب يحد كل منها عدد من الأحجار الموضوعة فوقها (...). وقد خرب الوهابيون قبورهم وعبثوا بها). (حمزة الحسن، الشيعة في المملكة السعودية، ص 211...) جريمة آل سعود : الوهابيون وكما هو معروف قد ورثوا الحقد الدفين ضد الحضارة الإسلامية من أسلافهم الطغاة

والخوارج الجهلاء فكانوا المثال الصادق للجهل والظلم والفساد فقاموا بتهديم قبور بقيع الغرقد مرتين: الأولى عام 1220هـ كانت الجريمة التي لاتنسى، عند قيام الدولة السعودية الأولى حيث قام آل سعود بأول هدم للبقيع وذلك عام 1220هـ وعندما سقطت الدولة على يد العثمانيين أعاد المسلمون بناءها على أحسن هيئة من تبرعات المسلمين، فبنيت القبب والمساجد بشكل فني رائع حيث عادت هذه القبور المقدسة محطة رحال المؤمنين بعد أن ولّ خطا الوهابيين لحين من الوقت. الثاني: عام 1344هـ استولى آل سعود على مكة المكرمة والمدينة المنورة وضواحيهما عام 1344هـ، وقاموا في اليوم الثامن من شوال بهدم قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) وهم: • الإمام الحسن المجتبى ابن أمير المؤمنين. • والإمام علي بن الحسين زين العابدين. • والإمام محمد بن علي الباقر ابنه. • والإمام جعفر الصادق ابن الإمام الباقر (عليهم السلام). وبعد استفتاء علماء المدينة بيد قاضي قضاة الوهابيين «سليمان بن بليهد» (العنـة إـلـى عـلـيه) والتهدـيد والترهـيب وقع العلمـاء عـلـى جواب نـوـهـ عنـه في الاستفتاء بـحـرـمة الـبـنـاء عـلـى الـقـبـور، تـأـيـداً لـرأـيـ الجـمـاعـةـ الـتـيـ كـتـبـتـ الـاسـفـتـاءـ. فـنـشـرـتـ جـرـيـدةـ أـمـ القرـىـ بـعـدـهـاـ 69ـ فـيـ 17ـ /ـ شـوـالـ 1344ـ هـ نـصـ الـاسـفـتـاءـ وـجـواـهـهـ -ـ وـكـأـنـ الـجـوابـ قدـ أـعـدـ تـأـكـيدـاـ عـلـىـ تـهـديـمـ الـقـبـورـ. وـاعـتـبـرـتـ الـحـكـومـةـ السـعـودـيـةـ ذـلـكـ مـبـرـرـاـ مـشـرـوعـاـ لـهـدـمـ قـبـورـ الـمـسـاحـةـ وـالـتـابـعـينـ لـيـقـدـمـوـاـ إـهـانـةـ لـهـمـ وـلـآلـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ إـلـىـ عـلـيهـ وـآلـهـ). فـتـسـارـعـتـ قـوـىـ الشـرـكـ وـالـوـهـابـيـةـ إـلـىـ هـدـمـ قـبـورـ آلـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ إـلـىـ عـلـيهـ وـآلـهـ)ـ فـيـ الـثـامـنـ مـنـ شـوـالـ مـنـ نـفـسـ السـنـةـ -ـ أـيـ عـامـ 1344ـ هـ -ـ فـهـدـ مـوـاـ قـبـورـ الـأـئـمـةـ الـأـطـهـارـ وـالـصـاحـبـةـ فـيـ الـبـقـيـعـ، وـشـوـهـاـ بـالـأـرـضـ، وـشـوـهـاـ مـحـاـسـنـهاـ، وـتـرـكـوـهـاـ مـعـرـضـاـ لـلـوـطـنـ الـأـقـدـامـ، وـدـوـسـ الـكـلـابـ وـالـدـوـابـ.. وـكـانـ مـمـنـ قـتـلـ فـيـ هـذـهـ الـهـجـمـةـ التـارـيـخـيـةـ الـمـشـهـورـةـ الـتـيـ تـدـلـ عـلـىـ هـمـجـيـتـهـاـ عـلـىـ الـبـعـدـ الـبـعـيدـ لـلـوـهـابـيـةـ عـنـ الـإـسـلـامـ وـوـجـهـهـ الـمـزـرـيـ وـالـمـشـوـهـ لـلـإـسـلـامـ -ـ الشـيـخـ الزـوـاـوـيـ مـفـتـيـ الشـافـعـيـةـ وـجـمـاعـةـ مـنـ بـنـيـ شـيـبـةـ (سـدـنـةـ الـكـعـبـةـ)... وـكـانـواـ قـدـ بـدـأـواـ فـيـ تـهـديـمـ الـمـشـاهـدـ وـالـقـبـورـ وـالـأـثـارـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ وـغـيـرـهـمـاـ.. فـفـيـ مـكـةـ دـُـرـتـ مـقـبـرـةـ الـمـعـلـىـ، وـالـبـيـتـ الـذـيـ وـلـدـ فـيـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ إـلـىـ عـلـيهـ وـآلـهـ). (أـمـيـنـ الـرـيـحـانـيـ، نـقـلاـ عـنـ حـمـزةـ الـحـسـنـ، الشـيـعـةـ فـيـ الـمـمـلـكـةـ السـعـودـيـةـ، جـ2ـ، صـ271ـ.)ـ كـمـاـ قـامـواـ بـفـعـلـةـ شـنـيـعـةـ فـيـ سـنـةـ 1216ـ هـ (1801ـ مـ)ـ بـالـاعـتـدـاءـ عـلـىـ مـبـانـيـ مـدـيـنـةـ كـرـبـلـاءـ، فـهـدـ مـوـاـ مـسـاجـدـ وـالـأـسـوـاقـ، وـالـكـثـيرـ مـنـ الـبـيـوتـ الـتـرـاثـيـةـ الـمـحـيـطـةـ بـالـمـرـقـدـيـنـ وـعـبـتـوـاـ بـالـمـرـاـقـدـ الـمـقـدـسـةـ وـهـدـمـوـاـ سـوـرـ الـمـدـيـنـةـ.. (دـرـاسـاتـ حـولـ كـرـبـلـاءـ وـدـورـهـاـ الـحـضـارـيـ، وـقـائـعـ نـدوـةـ عـلـمـيـةـ عـقـدـتـ فـيـ لـنـدـنـ، دـارـ الصـفـوةـ طـ1ـ، صـ607ـ.)ـ كـمـاـ أـرـادـواـ هـدـمـ قـبـةـ الرـسـوـلـ الـأـكـرمـ (صـلـىـ إـلـىـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ لـكـنـ تـظـاـهـرـ الـمـسـلـمـوـنـ فـيـ الـهـنـدـ وـمـصـرـ وـلـعـلـ غـيـرـهـمـاـ أـيـضاـ، أـوـقـفـهـمـ عـنـ ذـلـكـ فـيـ قـصـةـ مـعـرـوفـةـ، وـهـمـ يـحـذـّرـونـ إـلـىـ ذـلـكـ إـلـىـ الـآنـ، حـتـىـ أـنـ عـالـمـهـمـ (بـنـ باـزـ)ـ لـاـ يـزـورـ مـسـجـدـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ إـلـىـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ قـائـلاـ: ماـ دـامـ هـذـاـ الصـنـمـ (أـيـ قـبـةـ الرـسـوـلـ صـلـىـ إـلـىـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ هـنـاكـ لـاـ أـزـوـرـهـ، لـكـنـ الرـمـانـ مـرـّـ عـلـيـهـ وـلـاـ يـأـبـهـ بـكـلامـهـ أـحـدـ. (عـبدـ الـعـزـيزـ بـنـ باـزـ)ـ مـفـتـيـ السـعـودـيـةـ (1420ـ 1330ـ هـ)ـ مـفـتـيـ السـعـودـيـةـ)ـ. لـمـنـ الـقـبـورـ الدـارـسـاتـ بـطـيـبـةـ * * عـفـّـتـ لـهـاـ أـهـلـ الشـفـقـ آـثـارـاـ قـُـلـ لـلـذـيـ أـفـتـىـ بـهـدـمـ قـبـورـهـمـ ** أـنـ سـوـفـ تـصـلـيـ فـيـ الـقـيـامـةـ نـارـاـ أـعـلـمـتـ أـيـ مـرـاـقـدـ

هدمتها

**

هي للملائكة لا تزال مزارا